

الثقافة الرفيعة وإتيقا الواقع القائم في النظرية النقدية عند هاربرت ماركيز

The High-End Culture and the Ethics of a Progressive Reality in the Critical Theory by Herbert Marcuse

المؤلف الأول: عبد الكريم فضيلة

جامعة باتنة - الجزائر

abdelkrim.fadhila@univ-batna.dz

المؤلف الثاني: موسى بن سماعيل

جامعة باتنة - الجزائر

bensmaine1963@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/05/15

تاريخ القبول: 2022/04/14

تاريخ الإرسال: 2022/03/11

1 المؤلف المراسل: فضيلة عبد الكريم. البريد الإلكتروني للمؤلف المراسل: abdelkrim.fadhila@univ-batna.dz

الملخص:

نطرح في هذه الورقة البحثية إشكالية الثقافة الرفيعة والتفكير المتعالي في استدعاء الوعي الجديد لمواجهة الوضع القائم على ثقافة الاستهلاك و سلطة التقنية المفرطة في تكريس التحرر المزيف، وإقامة واقع بديل يزيل التوتر وإمكانية نجاح الجهاز المفاهيمي النقدي لنظرية ماركيز النقدية في فرض إتيقا الثقافة الرفيعة، والتوظيف العقلي الخالص والأسلبة أو مفهوم " النفي " في النقد الاجتماعي المحايت للواقع الأداتي بهدف التقرب من الواقع العيني اليومي القابل للتحقق.

الكلمات المفتاحية:

الثقافة الرفيعة، الوعي الجديد، التحرر، الواقع العيني، هاربرت ماركيز.

Abstract:

The following paper will examine the question of a High-end cultural and extensive thinking, in addition to how it establishes the position and status of a consciousness that stands as an illusion when it comes to consumerism and liberation , as well as the highly saturated absolute affect of technology , this rises the question of how could an alternative reality be founded where Marcuse's idea of the critical mechanism can achieve the ideal ethics of the high-end culture , which will also apply the idea of " Negativism " in order to approach the observations of reality .

Keywords:

High-End culture – Liberation – Observations of Reality – Critical Mechanism - Herbert Marcuse .

1. مقدمة:

نقد الواقع القائم الذي فرضته سلطة التفكير المادي السائدة والتي أفرزت عقلا أداتيا مستهلكا وقف أمام فاعلية العقل المبدع في مجتمعات خرجت من أزمتها منهكة تتفاعل مع ماهو كائن وفق متغيرات عينية معاشة من خلال اليومي للأفراد في إشكالات إيتيقة، وضعيات طرحت مشكلات الواقع على الفلاسفة والمفكرين بكل توجهاتهم وأديولوجياتهم من أجل الخروج بحلول لأزمات الإنسان القيمية، وفي هذا الفضاء كانت المسائلة النقدية البارزة والتي أسست لها مدرسة فرانكفورت الألمانية رغم الظروف السياسية الصعبة المحيطة بها فكانت تقليدا يتابع ويراجع ويحدد القضايا الاجتماعية العالقة، ويعد هاربرت ماركيز 1979- 1998 " Herbert Marcuse " من أبرز فلاسفة النقد الاجتماعي بمدرسة فرانكفورت الألمانية حيث برز منجزه الفلسفي كعتبة هامة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، تفكير نقدي إيتيقي يبحث في اتجاه ثنائي متكامل ينطلق الأول من البحث في الأسس الواقعية للمفاهيم الفلسفية المجردة والثاني مكمل يسعى إلى كشف حريات ورصدها ضمن الفهم العيني للأسس الفلسفية للحركات الاجتماعية الواقعية بأسلبة وتصعيد وتجذر نقدي بالمشكلات ، فالفلسفة لا تتبعد عن الميثاق اليومي للواقع والحياة، وهو حركة العلاقات الاجتماعية التي تدرج ضمن المسار التاريخي للبشرية وكفاحها لإثبات وجودها بكل أبعادها القيمية، وهي مهمة أخذها ماركيز على محمل النقد في فضاء طغت عليه النزعة الوضعية ونتائج العلم، توقيع جديد توجه من خلاله إلى العقل الأداتي الاستهلاكي ساهم في تأسيسه ثلة من الفلاسفة، من مثل فلسفة النفي الهيجيلية والتي وجد فيها المنطلق والأرضية للنقد الاجتماعي وتفكيك مظاهره، يليه تأثير ماركس وننشله لتأتي مرحلة أخرى كان تأثير فرويد وأستاذه هيدجر وهو يعترف صراحة بأنه كان بالفعل تلميذا لكل هؤلاء في آن واحد، وفي ذلك تنوع في المحطات الفلسفية مكنته من صياغة مشروع نقدي لا يتعارض كليا مع الواقع القائم بل يحاول التفاعل و صياغة راهن جديد يعيد من خلاله تخليص الفلسفة من تجريدها ونسقيتها المفرطة ومسايرة حياة الفرد بمنظومته الأداتية ومعالجة قضاياها بثقافة رفيعة لا ثقافة الاستهلاك الهشة

والأداتية، وهي صورة تجسد فيه نقد التقنية واستدعاء الفكر الشمولي التقليدي بوعي جديد ينطلق من قيم الحق والخير والجمال وهو الموروث الثقافي بشروط تزيل التوتر القائم بين الواقع ومراجعته بواقع بديل.

كيف أسس الموروث الثقافي الفلسفي لمشروع النظرية النقدية الاتيقية الماركيزية ؟ ماهي الثقافة الرفيعة التي دافع عنها ماركيز و التي تقف ضد فرض ميثاق الواقع القائم ؟ هل يمكن دمج إتيقا الثقافة الرفيعة بالواقع القائم و إعادة تشكيله ؟

2 . المبحث الأول : مدخل مفاهيمي

2 . 1 المطلب الأول : مفهوم النظرية النقدية :

مصطلح النقد كما يوضحه جميل صليبا في معجمه: " النقد أو الانتقاد في اللغة انتقدت الدراهم وانتقدتها أي أخرجت الزيف منها، ونقد الدراهم أعطاه إياها، ونقد الكلام وانتقده أظهر عيوبه ومحاسنه ... والانتقاد عند المحدثين هو التعليل، والمنتقد هو الحديث الذي فيه علة، والانتقاد بالمعنى العام هو النظر في قيمة الشيء، فانقاد المعرفة هو النظر في قيمة المعرفة هل هي ممكنة، وشروط إمكانها وحدودها " (صليبا، 1982)

ورغم أن النقد تناوله الكثير بالشرح لكن بهذا المفهوم الذي قدمه جميل صليبا يصبح أقرب إلى تناول الفكري، وخاصة على مستوى النظريات والآراء و التحليلات المفاهيمية للمعارف وقيمها.

أما مفهوم النظرية النقدية Théorie critique فنجد من خلال أعمال مدرسة فرانكفورت حيث: " تأسس معهد البحث الاجتماعي في عام 1923م وكان هريمان فايل هو من تولى تمويل هذه المؤسسة الفكرية الماركسية الأولى من نوعها، التي انبثقت عن مجموعة دراسات من الماركسيين التي كانت تسعى إلى معالجة المشكلات العملية التي تواجه الحركة العمالية في أعقاب الثورة الروسية. كان هريمان فايل رجل أعمال مستدير صنع ثروته من سوق

الحبوب الأرجنتينية، وقد قدم املاكا بعد إلحاح من ابنه فيليكس الذي كان يعتبر نفسه بلشفيًا مترقًا " (برونر، 2016، صفحة 30) فكان لهذا المعهد بصمة مختلفة حيث الصورة أكثر نضجا ووضوحا للسؤال الفلسفي الذي يبلغ مرحلة الخصوبة الفكرية، لذلك تعد مدرسة فرانكفورت النقدية من أهم المدارس الفلسفية المعاصرة التي ظهرت في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية كانت سائدة في ألمانيا في العشرينيات من القرن العشرين، والتي تعتبر من العوامل الرئيسية لنشأتها والتي كان مشروعها العلمي الذي قدمته نتيجة ملابسات موضوعية وجذرية وفق شروط مادية وإنتاج نظري مواكب لتلك الشروط الموضوعية المرافقة للظروف حيث عكست قضاياها. ولكن لم يأت ذلك من فراغ فقد تناولتها الفلسفة الألمانية من خلال أعمال إمانويل كانط وفردريك نيتشه، حيث جعلت من النقد الفعل الذي يبنى عليه التأمل الفلسفي و صياغة المشكلات و الدهشة من الوقائع، إذ تعد النظرية النقدية عكس النظرية التقليدية و المرتبطة بالنظرية الوضعية والتي تعتمد مناهج العلوم الطبيعية، وعليه فهي تؤكد على الصبغة النقدية للعقل وتجعل الإنسان صانعا لظروفه و يومياته التي يحتفظ بها تاريخه بتتابع نقدي إذ يقول هوركايم: " Horkheimer إن النظرية النقدية تحافظ على تراث الفلسفة برمتها فهي ليست فرضية ما للبحث تشهد بصلاحياتها في النظام القائم، بل عاملا لا ينفصل عن المجهود التاريخي في سبيل خلق عالم ملائم لحاجات الإنسان وملكاته " (برونر، 2016، صفحة 30) والتي يطمح من خلالها إلى وضع فكرة شاملة للنقد كنظرية تعمل على بعث التراث الفلسفي و مناهجه التي أسست للقول الفلسفي، و يواصل هذه الفكرة حول النقد ليقول: " تهدف إلى تحرير الإنسان من القيود التي تجثم عليه بهذا المعنى فإنها تقارب الفلسفة الإغريقية لا في فترة استسلامها الهلنستية بل عندما كانت في أوجها زمن أفلاطون وأرسطو " (هوركايمر ومصطفى الناي، 1990، صفحة 20) هي قيود واقع كله تناقضات ومغالطات يحاول من خلاله هذا الفكر النقدي الجديد و المتجدد إعادة الفلسفة اليونانية بما تحمله من أسئلة قابلة للحضور مع كل تفكير يسعى إلى مقارنة بين الفكرة وحياتها بين العقول.

2.2 النظرية النقدية عند هاربرت ماركيز :

إن الخلفية الفكرية التي قامت عليها النظرية النقدية تعود إلى مؤسس للتراث النقدي وهو «إمانويل كانط E.Kant الذي يتخذ النقد عنده مفهوما جديدا يقوم على الصورتين التاليتين

1-النقد من الناحية الإيجابية حيث يحاول تقييم حدود العقل ومدى إمكاناته في نطاق التجربة الحسية وهو تقييم هدفه الدفاع ضد نزعة هيوم الارتيازية.

2-النقد من الناحية السلبية يتضمن تقييما نقديا للعقل حينما يحاول تجاوز أسوار التجربة وفي هذا المعنى : " يبين تهافت الفلسفة الميتافيزيقية الكلاسيكية التي كانت تعتقد بإمكانية معرفة ما وراء الظواهر المحسوسة وضرورة الانصراف به إلى مشاكل الحياة والمجتمع فهي الشيء الوحيد الذي يمكن أن نعرفه بعقولنا، لقد استفاد هوركايمر من مفهوم كانط للنقد إضافة إلى مفهوم الخيال Imagination كمفهوم له علاقة بالنقد، لكن بتغيير واضح فإذا كان الخيال عند كانط هو ملكة تتوسط الملكة العقلية والملكة العملية، فإنه يكاد يصبح عند هوركايمر ملكة منفردة تتحقق بها الرؤية الثورية للمستقبل، تحرير الإنسان من رباط الواقع" (عطار، نزوى، 2012) و المتتبع لكتابات هاربرت ماركيز النقدية يجد مشروعه مرتبط بمدرسة فرانكفورت و بأعمال هوركايمر وأدورنو في نقدهم للمشروع الحديث، باعتبار أن ماركيز يشكل حلقة هامة في نجاح المشروع النقدي للنظرية الاجتماعية ، واستطاع ماركيز أن يؤسس لنظريته النقدية من خلال تفكيره العقلاني الاجتماعي و هي نظرية نقدية في فحواها وماهيتها لأنها تخضع لنقد عملي ونظري إيجابا وسلبا، والبعد الهيجلي يمكن لمحة في فهم ماركيز للتاريخ على أنه مسار استلاب والجدل فيه هو الجدل السلبي، جدل النفي العقلي المتتالي والمتشكل بصورة نقد من داخل الظاهرة، وتتمحور وظيفة النظرية النقدية الماركيزية في إدخال البعد الاجتماعي كمنطلق أساسي لتفسير وفهم الإنسان بدل الاحتفاظ بالمفاهيم الفلسفية المجردة والمطلقة دون ترجمتها إلى الفعل العيني.

2.3 المطلب الثاني: مفهوم الثقافة الرفيعة

الثقافة هي كلمة فرنسية قديمة، تعود في أصلها إلى اللغة اللاتينية Cultura التي تعني رعاية الحقول أو قطعان الماشية، وكانت ما قبل بداية القرن السادس عشر تدل على حالة الشيء المزروع وفي القرن السابع عشر ظلت كلمة ثقافة بمعناها المجازي قليلة الشيوع ولم تفرض نفسها إلا في القرن الثامن عشر؛ حيث بدأت الكلمة بفرض نفسها ودخلت بمعناها هذا معجم الأكاديمية الفرنسية، وبالتالي فقد ترسخت كلمة "ثقافة" في أيديولوجيا عصر الأنوار واقرنت بأفكار التقدم والتطور والتربية والعقل التي كانت تحتل الصدارة، فكلمة culture (الفرنسية) تعني تنمية بعض القدرات العقلية بالتدريب ثم تطورت بعد ذلك إلى مجموع المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية روح النقد والحكم العقلي، بمعنى انتقلت من زراعة الأرض واستغلال خيراتها إلى تدريب الفكر وجني ثماره، و عليه فالثقافة هي الطرق أو الأنماط أو السلوكيات التي يمارسها البشر في حياتهم وفي أدبهم وعاداتهم حتى اعتادوا عليها، و صارت مرجعيات ثابتة وضوابط وأعراف وتقاليد سائدة وهي أيضا: " كلمة شاملة تعود في استخداماتها إلى ما يستعمل باللغة العربية قديما و حديثا، فكلمة تثقيف تعني تشذيب قناة الرمح أو تسويتها و استقامتها " (مدن، 1994) ومن ثم فمن يخرج عليها يُعدُّ غريباً عن المجتمع لأنه مخالفاً لتقاليدِه وأنساقه الثقافية. حيث: "تمثل الثقافة عملية تطور فكري وقيمي وروحي وذوقي وفني تنعكس على الإنسان، حيث يرى "مايك فيزرستون" أن مصطلح الثقافة هو «مصطلح إشكالي جداً، إنه مفهوم خلافي بالضرورة ويغطي مدى واسعاً من المعاني، إنه يستخدم بأشكال مختلفة ليشير إلى قواعد وأفكار ومعتقدات وقيم ورموز ولغات وشفرات ... وكذلك هي في الرأي الأنثروبولوجي "طريق كامل لحياة الجماعة، والناس والمجتمع وبهذا المعنى الأخير الثقافة كطريق كامل للحياة تحمل مجموعة عامة مشتركة من المعاني والعقائد والقيم بين الناس التي تتلاحم في كلِّ متكامل " (علواني، 2013) و عليه فالثقافة هي تلك العادات والتقاليد التي تسود في مجتمع ما بالإضافة إلى الأفكار الدارجة بين العامة في ذاك المجتمع والتي يتعود عليها أفرادها، ومن الأمور التي

يشملها هذه النوع من الثقافة هي اللغة والدين وطرق التفكير، بحيث تميز هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى وتعطيه طابعه الخاص وتظهر آثار هذه الثقافة العامة على نمط السكن واللباس والعيش المشترك بين أفراد المجتمع الواحد، أي كل ما يتداوله الناس في حياتهم الاجتماعية من مكتسبات تحصيل بالتعلم، أما في اللغة العربية فهناك فرق واضح بين كلمة حضارة التي تدل على مجموعة من المنجزات والعمليات الإنسانية المكتسبة في كافة الميادين، و مصطلح ثقافة الذي يعبر عن مظاهر التقدم الفكري والعقلي، وبهذا المعنى تتم عملية تخصيص الثقافات كالثقافة اليونانية والثقافة العربية والثقافة اللاتينية والثقافة الحديثة والثقافة الصينية والثقافة الأمريكية: "إن الثقافة مهما كان تعريفها تبرز بذاتها حقيقة تفردتها " (زكي والصاوي، 1997، صفحة 54) وهو تفرد يعمق مشكلة التعرف فلا يمكننا الوقوف إلا على المشترك و هو السلوكيات التي تترجم للأفكار السائدة في مجتمع ما و التي يراها قابلة للتطبيق، و يمكنها أن تتجده في الظروف التي يعيشها رغم التطورات الحاصلة من جيل إلى آخر، وإذا ما حاولنا الوصول إلى شمولية تقترب من ضبط كل هذه المقولات نجد مالك بن نبي يقربنا أكثر من صورة هذا المصطلح بقوله: " أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته لتصبح لا شعوريا علاقة تربط سلوكه بأسلوب الحياة في المحيط الذي ولد فيه " (شعبان، 2001، صفحة 69) لكنه لا يمنع من اكتساب ثقافة المجتمعات التي ينتقل إليها الفرد و التي تتدرج ضمن تفاعل الثقافات أو فعل المثاقفة.

وإذا كان هذا هو مفهوم الثقافة كمصطلح فماهي الثقافة الرفيعة حسب موقف هاربرت ماركيز؟

الثقافة الرفيعة ترتبط بالوعي لدى الأفراد، حيث يعتبرها ماركيز ضرورة لخلق عالم بديل للعالم الاستهلاكي، كما أنه يرى بأن الثقافة لا تكون عن طريق الأفكار المعزولة بل يجب دمج الثقافة بالنظام القائم من أجل تفادي ضرب الثقافة الرفيعة وهي عملية تجاوز التسامي من أجل ثقافة تواجه الواقع الحي الذي أحدث قطيعة بينه وبين الثقافة الرفيعة: " الثقافة هي مسألة قيم روحية وهذا مكون للمفهوم الإيجابي للثقافة ...

الثقافة هي مجرد تعبير روحي وإرادة روحية وهي على هذا التعبير والإرادة عن ماهية تقوم وراء كل سيادة عقلية على الوجود ... ومن هذا يترتب مفهوم الثقافة على أنه الشكل السائد الذي يجري فيه التعبير عما هو روحي وينطلق في المادة المعطاة ماديا وروحيا للوجود " (ماركيوز، فلسفات النفي، 2012، ص114) فهو لا يرفض التكنولوجيا بل يرفض أن تستغل أدواتها لتصفية كل ما هو أصيل في الثقافة الرفيعة،

_____ ثقافة الاستهلاك الأدائية _____ الأسلبة و التصعيد _____ ثقافة رفيعة وعي جديد

_____ هل يمكن دمج الثقافة الرفيعة بثقافة الاستهلاك الأدائية كرفض للإقصاء و تحقيق لإتفا الثقافة الرفيعة ؟

النظام القائم رأسمالي ليبرالي يخضع للتقنية اكتسب من خلاله الأفراد وعيا يتعارض مع الثقافة الرفيعة والتي كانت موجودة أصلا بالمجتمع الرأسمالي أو الليبرالية بصورتها الكلاسيكية ، الواقع الجديد جعل من الحرية الفردية قيمة حياتية و يوميات الوعي المكتسب من الواقع القائم، وعليه كانت النظرية النقدية الماركيزية هي محاولة جادة لفهم العالم وتغيره عن طريق الكشف عن مكامن القوة والضعف في النفس الإنسانية وتطوير عقل نقدي واع يرسخ ثقافة المساواة والإبداع . أما محرك النقد فهو الشك بالحقيقة الكلية والجزئية وإنّ الشك يعكس بدوره معرفة أخرى يكون من خلالها دمج الثقافة الرفيعة بواقع الحال المقيم بين الناس، على أن يكون النقد داخليا وعقلانيا ويهتم بالموضوع ومضمونه وليس بالعرض العام والذي لا يحقق التغيير، هذه الثقافة الرفيعة لدى ماركيز منطلقها الذات والمطلوب منها تحقيق هدف النقد الذاتي ومعرفة الأنا ومحاكمتها لمعرفة مواطن القوة والضعف، ومن ثم تقييم الذات لمواجهة السلبيات وإعادة بنائها من جديد على أسس عقلانية واعية وهي مقاومة فكرية و عينية مستمرة من الفرد لذلك: " فالمشروع كما تطور وكيف وحدد عالم الكلام و العمل ، عالم الثقافة على الصعيد المادي وعلى الصعيد الفكري، وعن طريق التكنولوجيا تلتنم الثقافة و السياسة و الاقتصاد في نظام كلي الحضور يفترس أو ينبذ كل الاختيارات و الحلول البديلة " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، 1988، صفحة 33)و

هي مهمة ليست بالسهلة لأن فعل المقاومة يتطلب وعيا بالنتائج في واقع السلطة فيه مغلفة و محددة بقوة العقل الأداتي ، و في مقال كتبه هابرماس وجهه لماركيوز بمناسبة بلوغه السبعين من عمره و هو يؤكد على أن المجتمع مبرمج خطأ يقول " بالنسبة إلى مجالنا سيكون من الأهمية بمكان أن الثقافات العليا قد سمحت على قاعدة اقتصاد مرتبط بالزراعة و الحرف بتحديدات تقنية و بتحسينات تطبيقية بالرغم من الفروق الكبيرة " (هابرماس، 2003، صفحة 85) هذه الفروق التي صنعها الحال القائم ، و إذا كانت الثقافة الرفيعة قوة مقاومة في الوجود فذلك لا يتحقق إلا بمتلازمة الوعي الحقيقي لا الوعي المزيف : " لقد تعين نموذج التطور الثقافي الاجتماعي للنوع من البداية من خلال قوة تحكم تقنية متنامية في الشروط الخارجية للوجود " (هابرماس، 2003، صفحة 85) أن ترتقي التقنية إلى مستوى الإيديولوجيا فذلك أكبر استلاب و تشيؤ للحياة غير العلاقة الواعية بين الذات و ذاتها و بينها و بين العالم الخارجي ، هذه الشروط التي تفرض وجودا آخر و هو البديل ليس بالرفض لواقع الحال لكنه بتفاعل الثقافة الرفيعة مع هذه الشروط الجديدة و البراديغمات التي وضعت العقل في سياقات سلطة الحياة و الوجود، مما امتد إلى القيم و هي جوهر العملية الثقافية داخل المجتمع و في علاقة الثقافة بين الأفراد يقول كمال بومنير : " لقد أكد ماركيوز على الطابع الاجتماعي و التاريخي في معالجة مسألة التقنية وضرورة تجاوز الطرح الميتافيزيقي أو الأنطولوجي " (بومنير، 2010، صفحة 60) وهو طابع يعكسه الحالة الثقافية بكل ماتحمله من تنوع إنساني يعكسه القراءة التاريخية والاجتماعية، وعليه لا يجب نقد الأفكار والنظريات فقط وإنما يجب نقد المجتمع ومؤسساته وخاصة الصناعية وكذلك وسائل الاتصال التي تدعم ذلك، والمجتمع الاستهلاكي نقد كل ماهو ثقافي وفلسفي وفني وكشف متناقضات المجتمع الصناعي: " المجتمعات الصناعية تغذي الإيديولوجيا و تحمل في طياتها حرية لا يسعد بها الجميع، ومنه كان نقد ماركيوز لمظاهر المجتمع الصناعي، ويمكن معالجة ذلك بأسلوب التفكير (Clavet, 1986, p. 209) " لأن التصعيد والثورة والأسلبة

ناتجة عن تلك الحرية التي لا يسعد بها الجميع بلا حرية ، فالمجتمعات الصناعية أزمتهما أصبحت واقعا خلق صداما عنيفا بينه و بين إتيقا ميثاق الثقافة الرفيعة و التسامي الإنساني.

3. المبحث الثاني : الثقافة الرفيعة و تشكّل الفكر النقدي الماركيزي

3.1 المطلب الأول : الثقافة الرفيعة والتصعيد السلبي :

حضور قوي لفلاسفة الحداثة والتنوير من الذين أثروا في الفكر النقدي الماركيزي ويعتبرون مرجعية للثقافة الرفيعة حيث كان تواصله مع " هيجل وماركس ونييتشه وفرويد" ومن خلال القراءة الفاعلة، ومع "هايدجر" حيث التواصل كان مباشرا بحكم تتلمذه فكل هؤلاء الفلاسفة تحكّموا في تشكيل فكر الإنسان المعاصر، وهم أيضا شكلوا عقلا واحدا لمراجعة الواقع بكل المؤثرات المتعارضة وشديدة التعقيد، حيث يعترف ماركيز صراحة بأنه كان بالفعل تلميذاً للجميع مما وسع من مداركه في التأسيس لثقافة مغايرة تبحث عن البديل بتفكير يستمد قوته من قوة النقد الذاتي و حضور الثقافة الرفيعة التي تم إقصاءها في عصر ثقافة التقنية ، ويمكننا هنا أن نستعرض نماذج لفلاسفة الثقافة الرفيعة و الذين أثروا في تكوين الفكر النقدي عند هاربرت ماركيز و كان لهم حضورا في تكوين فكره الذي برز في نقد الليبرالية و هي تلك الأفكار التي ترتبط بالحرية الفكرية ؛ أي أنها ذلك النسق الفكري الذي يعتمد على العيش المشترك داخل المجتمع الواحد، بحيث يحق لكل فرد تبني الأفكار التي يرغب ولا أحد يفرض على الأفكار وفي المقابل عليه واجبات تتمثل في احترام المختلف عنه ونبد : " النزعة الفردانية الأنانية والتضحية بالأمة و الدولة على مذبح صراعات المصلحة بين الجماعات الاجتماعية الخاصة " (ماركيز، فلسفات النفي، 2012، صفحة 114) هذه الثقافة الفردانية التي جعلت كل ما هو إنساني ضحية التدافع السياسي و الجماعات الاجتماعية المضادة للثقافة الرفيعة.

كيف و ظف ماركيزو الجدل السلبي الهيجلي في دمج الثقافة الرفيعة بالواقع القائم ؟

المتتبع لكتابات ماركيزو يجد لفريدريك هيجل حضورا هاما حيث يبرز بالمنهج الجدلي المثالي بهدف توظيفه في بناء مقولاته النظرية في كتابه _ العقل والثورة _ : " أكثر من مجرد مقدمة عامة عن هيجل. لقد كان في الحقيقة أطروحة جدالية رفيعة المستوى" (روبنسون و عبده الرئيس، 2005، صفحة 139) مما يظهر بأن هيجل كان ثوريا بعصر التنوير وناقدًا للنظام الاجتماعي الأوروبي، لذا يمكن اعتبار شخصية هيجل شخصية جذابة بالنسبة لماركيوز لأنه عارض الأدوات لدى الإيديولوجيا الليبرالية ، و يذهب ماركيزو إلى أن هيجل استطاع حسب رأيه أن ينتقل بالمذهب المثالي من مرحلة الاستسلام للأمر الواقع والدفاع عنه إلى مرحلة النقد المكافح و المقاومة الذي يعتمد على مفهوم السلب لأن هيجل جعل للفكر مساراً دياكتيكياً تحتل فيه فكرة السلب في فلسفته مكاناً هاماً ورئيسياً، حيث يصبح السلب جزءاً لا يتجزأ من طبيعتها ، لأن أي شيء لا يكون له معنى حقيقياً إلا من خلال السلب الكامن بدخله والذي يظهر قابليته للمراجعة و المساءلة ، فالجدل عند هيجل يتسم بالطابع السلبي الذي يأخذنا إلى التصور الحقيقي للعقل على اعتبار السلب هو قوام العملية الجدلية الفعلية ، وبهذا يصبح السلب برأي ماركيزو قوة بارزة تسعى إلى فضح وكشف الواقع بما فيه من قوة وضعف ، و عليه فالسلب عند هيجل حسب رأي ماركيزو: "يعتبر مفهوم الصفة الملازمة التي تتغلغل في جميع أشكال الوجود، فهو الذي يتحكم بمضمون هذه الأشكال وفي حركة تطورها ، فالظواهر التي تبدو للذهن العادي بوصفها مظهراً إيجابياً للحقيقة، هي في واقع الأمر سلب لها، بحيث يستحيل إقرار الحقيقة إلا بتجاوز هذه السلبية " (ماركيوز و زكريا ، العقل و الثورة ، 1970، صفحة 48) ولكن السلب عند هيجل ليس عدماً إنما قوة خلاقة في الفكر والوجود فهو أساس الحركة و الحياة التي تمنح التفكير مراجعة ثقافته في جانبها المزيف، و النظر إلى الوعي في حقيقته القابلة للاستمرار من أجل إعادة مفهوم الثقافة الرفيعة والكف عن طغيان ثقافة قبول راهن سلب من الفكر أهم مقوم وهو الاختيار، والعقل يفكر بحتمية تغلبت تحت ذريعة التقانة الرائجة والسائعة والأكثر

نجاحا بين الناس في مجتمع ليبرالي تسلطي ناعم، ومنه يعد ماركيز بهذا المنطلق التراجعي قد أعطى الفلسفة النقدية المعاصرة دفعا أثث له بثقافة الفلسفة الرفيعة وأعطى تفسيراً جديداً لمنهج هيجل الجدلي لم يعد فيه هيجل آخر الفلاسفة التقليديين الكبار ولا يعود مذهبه آخر بناء عقلي شيدته الفلسفة الغربية، بل جعل من هيجل أول المعاصرين وبداية لمشروع نقدي عقلي واجتماعي في لحظة تاريخية فارقة عكست أزمت العقل أمام سلطة العلم والتقنية، هذا جانب من زوايا الثقافة الرفيعة و تفعيل المقاومة الإتيقية للواقع القائم عند ماركيز وله في كل شخصية فلسفية كانت بعصر الأنوار زاوية ساعدته على دقة المراجعة، وهيجل تم التركيز عليه لما له من مرتبة و قوة لديه بالقول الفلسفي لدى هاربرت ماركيز.

3.2 المطلب الثاني : إتيقا الثقافة الرفيعة و مواجهة الوعي المزيف

ماالإتيقا ؟ و ما تأثيرها على الثقافة الرفيعة و توجيه العقل للوعي الحقيقي ؟

المنتبع لمسارات المنجز الفلسفي المعاصر سيلاحظ تلك المتغيرات التي سلكتها الفلسفة المعاصرة ، فلم تعد الفلسفة مثلما كانت مع اليونان ذات طابع صوراني، ولم تبق قضايا جدلية يحددها تفكير العصور الوسطى من أجل ضبط العلاقة بين العقل والنقل، ولم تعد الفلسفة ذات طابع علمي منطقي مثلما كانت في عصر الأنوار والحداثة، لقد اقتربت الفلسفة المعاصرة من الواقع العيني ومن الحياة واليومي للإنسان المعاصر؛ بحيث أصبح هذا اليومي هو موضوع الفلسفة الرئيس بكل تعقيداته وتحولاته المختلفة و المتداخلة ، و يعد الخطاب الإتيقي المحور الرئيسي لتجاوز أزمة القيم في الفلسفة المعاصرة والوقوف على الواقع الذي يختبر التجربة الفكرية و التي ظلت حبيسة المتعالي ، و يعد حضور الخطاب الأخلاقي في صبغته المعاصرة خطابا أخلاقيا تطبيقيا إذ يعد هيدغر في نقده للتقنية وماركيوز في نقده لتطرف الرأسمالية الصناعية هي بالأساس انتقادات إيتيقة و عليه الإتيقا في الفلسفة: "الإغريقية البحث عن طريقة مثلى للوجود عن طريق حكمة الممارسة ، بهذا المعنى تكون الإتيقا جزءا من الفلسفة التي تجعل الممارسة العملية محكومة بتمثلاتنا للخير " (غابري، 2017، صفحة 206) وبمنهجية النقد الماركيزي الثوري تصبح الجدلية السالبة

تصعيد ممارساتي يبدأ من الواقع الأداتي تحليلا وينتقل للثقافة الرفيعة لتفكيكها من الداخل الميتافيزيقي، وهي محاولة إتيقية بمقاربة تصعيدية تجعل من الوعي المزيف في حالة مقاومة، و منه فالمنتبع لآليات التفكير يدرك أن العقل يتحرك في حدود المعطيات المتاحة على قدر التصورات و معانيها ، وأفق المعنى الذي تمنحه تلك التصورات حيث يتحدد مستوى التفكير وصورته الإتيقية ، لذلك تساعد تجارب الإنسان صقل المعارف و تجديدها بنقلها من الواقع العيني ، حيث تكون نشاطات التفكير العليا من إدراك وتخيل وتذكر وغيرها من الآليات التي تحدد صورة الوعي الذي نحمله من تلك الصور و إذا ما اكتشف التتميط الذي طال الحياة الذهنية للإنسان بسلطة الفكر الأداتي الذي يحكم قبضته على الإنسان بكل ما يحمله من تفكير قيمي ، في لحظة التصعيد و المساءلة يمكن للفرد أن يقترب من واقعه العيني بمنطق التوافق لا بمنطق فرض سلطة الواقع القائم ، و هي لحظة فارقة يكتشف من خلالها ماركيز قوة المقاومة الذاتية في نظريته النقدية الاجتماعية ، لذلك كان الاهتمام عند ماركيز بالوعي كمركز مقاومة للواقع الإتيقي القائم ، ووعي ثقافي و تصعيد لفهم الحرية الإنسانية بكل الأبعاد بتفكير منطقي قيمي له ما يبرره و هو ما نجده لدى محمد جديدي عندما يعتبر الأخلاق كإتيقا أفكار : " نقف على النظر إلى الأخلاق كإتيقا أفكار، قرارات وسلوكات لخيارات حياة نحيها ، نبنينا على مبادئ موجهة " (جديدي، 2020، صفحة 160) و الأفكار ثقافة المجتمع التي يستدعيها في كل مساءلة و إشكالية يطرحها الواقع القائم الذي يقدم زيفا لما هو إنساني ولا يمكن حماية الأفكار إلا بفلسفة البراكسيس La praxis والممارسة لفعل الوعي القيمي باليومي لعلاقة الذات بالآخر ، و في كل مرة تظهر الثقافة الرفيعة المستمدة من الفكر الثوري الهيجلي فالسيد لا يحقق شيئا في التاريخ فكل تطور اجتماعي يقوم العبد به وبتوجيهه مجرى التاريخ لا يكون إلا عبر العمل على تغير نمط الحياة الاجتماعية ، فالسيد لا يحقق وجوده الأنطولوجي و الأكسيولوجي دون وجود العبد فهو الذي سيسمح للوعي الذاتي بالسيطرة على الوجود الموضوعي والتحكم في جوهر الممارسة اليومية لهذا الوجود ، فالعمل هو الموجه الوحيد إلى التحرر الحقيقي بين الأفراد ،

وعليه فلا سبيل إلى التحرر الحقيقي إلا بالثورة والتصعيد والاقتراب من الواقع العيني، ولكن مشروع هيجل ليس تحليلًا مطلقًا للوجود بل تغيير للحياة، وماركيوز في الديالكتيك الهيجلي استجذب هذا المنطق الذي لا ينضب والفعل الثوري الذي يقف ضد كل فكر ارتكاسي أو أداتي معاصر، لذلك كان استثماره بفلسفة النفي، ولعل إعادة قراءة هيجل مكنته من إبراز المقاربة التي قدمها هيجل بين العقل والثورة، فهو الفهم الذي يواجه النظام القائم، فبعد أن كان العقل محافظًا على الأوضاع القائمة أصبح مع هيجل ثوريًا متمردًا على القيم النمطية المستهلكة؛ فكل نقد هو سلب وكل ثورة ويربط بين مفهوم السلب باعتباره القوة المحركة في الجدل وبين مفهوم النقد عند كانط فهو الأرضية الصلبة التي أسس من خلالها مشروعه النقدي الاجتماعي والقيمي الإتيقي من خلال حضور الثقافة الرفيعة والتسامي الفكري.

3.3 المطلب الثالث: إتيقا الثقافة الرفيعة و إعادة تشكيل الواقع القائم:

سيكون منطلق إعادة تشكيل الواقع واختراق ميثاق العلاقات القائمة من خلال العودة إلى كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد" حيث يسجل ماركيوز قطيعة مع مسيرة كتاباته السابقة، مرحلة تبرز لنا فيها تحليلاته الأكثر نضجًا ودقة، رغم أننا نجد في كتبه السابقة والمحسوبة على مرحلة الشباب الكثير من الأفكار حول نظريته في نقد سلطة المجتمع الصناعي المعاصر.

هل حققت إتيقا الثقافة الرفيعة نجاحًا في تشكيل ومراجعة الواقع القائم من خلال طرحه لفكرة الإنسان ذو البعد الواحد؟ وهل كانت الحمولات النقدية مغايرة فعلاً و تحمل مراجعات بالفعل للواقع القائم؟

من خلال القول الذي جاء في الجزء الخاص بغزو الضمير التعيس وثقافة البعد الواحد والذي تحدث فيه عن وضعية الثقافة الرفيعة ليس فقط في الأحادية التي تعيشها المجتمعات الليبرالية بل كذلك المجتمعات الشيوعية، والتي يتفق كلاهما حول منطق الأحادية و السلطة

المطلقة التي تهيمن بفعل التقنية على الشعور العام للأفراد ، لكنه يجعل من الحرية التي عمت الرأسمالية أنموذجا لانهايار الوعي الحقيقي:" فالاتضاع المؤسس هو مظهر من سيطرة المجتمع الأحادي البعد على التجاوز والتعالي، فهذا المجتمع يميل في ميدان السياسة و الثقافة الرفيعة إلى تضيق الخناق على المعارضة " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، 1988، صفحة 115) و مصطلح الاتضاع يستعمله هنا كمعنى ضد التصعيد أو التسامي ، و هو هبوط ضد التسامي بجعل الفرد يعيش لذاته و يحقق ملذاته بذاته فتظهر الصورة رفاهية لكل مما يجعل التصعيد و الثورة والرفض والأسلبة وضعيات غير واردة و لا يمكن لأي معارضة أن تنشأ في هذا الفضاء التقاني و الأدوات ، و هي حالة مشتركة بين الليبرالية والشيوعية و ليست حكرًا على الأولى لأن التفكير الأدوات مشترك : " إن العدو هو القاسم المشترك بين كل ما يُفعل و ما لا يفعل ، و لا يمكن القول بأن العدو هو الشيوعية الراهنة أو الرأسمالية الراهنة ، فالعدو في كلتي الحالتين إنما هو في الحقيقة شبح التحرر " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، 1988، صفحة 87) حيث يعتبر التحرر الفعل الذي تتحقق من خلاله إتيقا الثقافة الرفيعة ، و هي المقولة التي تتكرر مع ماركيوز بهدف الوقوف مع النقد الاجتماعي لتأكيد غياب ثقافة الذات الفاعلة و حضور الأدوات ، التي اقترنت بالواقع القائم و المضاد لكل ثورة و أسلبة تنجح إلى إعادة قراءة الثقافة الاستهلاكية الرائجة ، و في جانب آخر يربط تكريس الوعي المزيف والخوف من التصعيد العقلي إلى الفعل السياسي : "يلقي الفكر الأحادي الجانب تجنيدا وتشجيعا دائما من صناع السياسة ومموليهم بالإعلام الجماهيري " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، 1988، صفحة 50) وحتى الاعلام أخذه مكانه في ثقافة الفرد المعاصر بل أصبح موجهًا للذوق والسلوك ورسخ التوافق مع الواقع القائم ، مادامت نتائجه المادية في خدمة الفرد والجماعات السياسية التي تجعل من هذا الفعل الثقافي ديمومة في تنامي الإقبال والعمل على تلبية الرغبة في الإبقاء على الحال مادام مفهوم الثورة بمعناها الكلاسيكي قد تغير، فالطبقة العمالية لا يعول عليها وبقي الأمل في المشردين والطلبة ، هذه الشريحة التي لا تستفيد من بقاء النظام القائم وتنشد الحرية عبر

الأسلبة و النفى ، و عليه فالحرية هي القوة المحركة الكامنة في الوجود وأن نفس عملية الوجود في عالم غير حر إنما هي استمرار للأسلبة ، لكن تغيير ثقافة الاستهلاك لا يعني تحقيق ثقافة رفيعة بالدمج في فضاء هش قد تكون فيه النتائج لصالح بقاء الأداتية : " لأن ثقافة مابعد التكنولوجيا ... في سعيها للولادة من جديد و التغلب على التقدم التقني " هي وثيرة للمحافظة على التصعيد و التسامي ، و بذلك تبقى التجاذبات ممتدة في صورة تصاعد يرجح حضور الثقافة الرفيعة بدل الغياب الذي فرضته حالة الوعي المزيف بقبول الوضع القائم : " إن مستقبل دولة الرفاه هو الذي سيقدر إمكانية وقف مد الثورة ، و هي إمكانية قائمة بحكم سياسة السيطرة التكنولوجية " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد ، 1988، صفحة 84) و منه إتينا الثقافة الرفيعة تشكل خطرا على دولة الرفاه و مستقبل ثقافة الاستهلاك ، لذلك تعد سنة 1968م من أهم المحطات وأكثرها دلالة في حياة ماركيوز الفكرية ، فقد وقف على إتينا أفكاره حول الثورة و وجد لها صدى كبير في الأوساط الشعبية و خاصة الطلبة، حيث شاع بينهم أهم براديجم مفاهيمي يسمى "بفلسفة الرفض الكبير"، ولقب وسط الطلبة "بفيلسوف الاحتجاج"، كما وجدت نظريته صدى واسعا في أوروبا و فرنسا على الخصوص حيث تم اقتناء كتبه و بصورة خاصة متن "الإنسان ذو البعد الواحد" لحظة تاريخية تعد نجاحا في الاقتراب من الواقع بمقاومة لدمج اللوغوس الرفيع بالأوضاع التي تشكل أصدادا ؛لأن " الواقع يضع في قفص الاتهام تلك الثقافة الرفيعة " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد ، 1988، صفحة 91) واقع لا يضع الثقافة الرفيعة موضع الاتهام فقط بل يحاول تصفية عناصرها داخل المنظومة الاجتماعية : " إن العقلانية التكنولوجية هي في سبيلها إلى تصفية العناصر المعارضة والمتعالية في الثقافة الرفيعة " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد ، 1988، صفحة 91) وذلك بمساعدة الإعلام والقوى السياسية الفاعلة والمساندة للواقع القائم، والذي كرسه ميثاق التقانة وهكذا فإن الفكر الماركيوزي وجد طريقه إلى المجال الممارساتي، كون الثورة والأسلبة من أهم ركائز مشروعه التحرري، وعليه يمكننا الحديث عن نتائج هذه التصعيد الثوري و الهدف من هذه اللغة الدلالية و فلسفتها من حيث

أنها محصلات لتتظير فلسفي طويل قد تجد لنفسها واقعا إتيقيا يعيد للقيم حضورها ، مادام قد وضح آليات التحرر والتي ستغير البعض من الظروف القمعية والعقلانية الاستهلاكية التي سيطرت بسلطة البعد الواحد .

ومنه وقف ماركيز على منجز إتيقي قائم على مايلي:

1 _جدل الأسلبة وعلاقة الواقع بالخيال ؛ علاقة المخيلة بالبناء الإنساني الكلي وماهيتها ومدى انفصالها عن الواقع، فنشاط الإنسان العقلي عامة يرتبط بمبدأ الواقع أكثر من الخيال وكل تفكير للتحرر ينطلق من هذا المعطى الإتيقي القيمي في الحياة والعلاقات الإنسانية.

2 _إزاحة القمع بمبدأ فاعلية الواقع ؛ فالخيال حين يقدم إتيقا الثقافة الرفيعة ، فإنه يقدم صورة من صور الوعي بالواقع و الذي منه نرسم ملامح التصعيد و إليه يعود.

3 _شككت فكرة النجدة بالثقافة الرفيعة منعطفا للتحرر من القمع و لكن في هذه النجدة وضع ضرورة للحديث عن الخيال و الإيروس و هو حديث يستعمل فيه لغة شعرية أكثر منها لغة المنطق و هذا سيجعل الإيروس و هو الرغبة و الحب و الجنس لدى الأسطورة اليونانية بدل اللوغوس فك ارتباطات الرغبة بعقلانية.

3.4 تعقيب : من خلال هذا العرض و محاولة ماركيز لجعل الثقافة الرفيعة بديلا عن طريق فكرة التصعيد و الثورة ، نلاحظ بأن ماركيز كان متشائما من واقعه فحاول أن ينتقد منظومته التي سلبت الحياة الحرة للأفراد بفعل ثقافة الاستهلاك ، فأقام واقعا آخر موازيا لكنه قريب إلى التعالي و الجموح الشديد و الخيال و حتى الأحلام ، و اعتبر الفن كحالة ثقافية رفيعة علاج للواقع المزيف لأن التعالي الذي يحققه الفن على الواقع هو حالة لا يمكن تحقيقها إلا في مضمار الأعمال الفنية مثل الفن التجريدي و الرمزية حتى في اللغة و الدلالة ، والتي يمكنها التملص فيها من رقابة الواقع ومن سلطاته المشبعة بثقافة الاستهلاك ، فنشأت هوة بين العمل الفني والواقع، لكن هذا لا يعني فك الارتباط بين الواقع والفن أو بين اللغة و الواقع المعبر عنه ، فهو ينتقد الحادثة بحدثة موازية ، لذلك حاول بعد

كثرة الانتقادات التي وجهت له أن يكون متفائلا بقول الواقع القائم أو الراهن و المستقبل يرتبط بمدى وعي المنظومة السياسية في إطار تفعيل قوانين إتيقية ، لأن الثقافة الرفيعة هي ملك للإنسان الذي يعرف كيف يقف ضد الارتكاسية و يحقق مراجعاتية لراهنه الذي سلب منه قيما و هو يتطرق لذلك و يعترف بهذه الصعوبة في الاقتراب من الواقع العيني : " إن التناحر بين الواقع الثقافي و الواقع الاجتماعي أخذ اليوم بالتراخي " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد ، 1988، صفحة 91) قد يكون هذا التراخي بفعل العودة إلى سلطة الرفاه التي فرضت قبول ما يستطيعه الفرد لأن المواحة مع الواقع الحي سترسم ملامح واقع ميت رغم جمالياته الإتيقية الرفيعة و القادم هو ملك للفرد و لدرجة وعيه لا ببحثه على ثورة إتيقية تبدأ بالدمج ؛ الذي لا يعرف أفراد نتائجه العينية رغم أنه يبحث في التحرر و القيم السامية . قد يكون اقتحام النظام القائم بنظام مختلف للأشياء هو بداية لعالم جديد ، و هي صورة احتمالية تختلف من فرد لآخر و من مجتمع لآخر لأن التكيف ثقافة الواقع و الميثاق القائم : " هكذا تكون العضوية مكيفة سلفا بشكل تقبل معه تلقائيا ماهو معروض عليها " (ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد ، 1988، صفحة 110) هنا نجد ماركوز يجعل بعض التعقيبات لديه تشبه النزول من المخيلة التي تبحث عن الثورة أو الأسلبة لأجل التحرر و الإفلات من الوعي المزيف ، رغم أن نظريته النقدية الاجتماعية قد عملت على فتح أفق المسألة و هي نقطة هامة تحسب لمنجز النقد الماركيزي ، و تنبيه للوعي المزيف الذي هو حقيقة جاثمة على العقول و ضباب الواقع القائم الذي أفسد الرؤية السليمة و جعل من الثقافة الرفيعة مهمة مستحيلة يقول محمد نورالدين أفاية : " فلاسفة النظرية النقدية و لاسيما هوركهايمر و أدورنو و ماركيز حاولوا انطلاقا من ممارساتهم للنقد أن يفكروا في مسألة التغيير ، ليس باعتباره نتاج دينامية الصراع ، كما تقول بذلك الماركسية، ولكن من منعطف تفكير الإنسانية في نفسها و اعتمادا على شكل جديد من النظرية الاجتماعية " (أفاية، 1998، صفحة 18) وهو منعطف تحرري مراجعاتي نقدي إنساني نابع من رفضه لاستقالة الفلسفة وتحولها إلى دلالات توضيحية و فقط بل عينية قادرة على الحضور، ولكن مقابل ذلك

يبرز لدينا المجال اللغوي في قراءته لخطاب أحادي البعد تم ضبط معانيه من زاوية تأويل أحادية لا يمكنها فرض سلطتها على الميثاق القائم إلا بشرط أساسي و هو العودة إلى المهمة السياسية بالمجتمع والتي تحيط بالواقع القائم : " فالوعي المستمد من طبيعة الواقع الاجتماعي هو وعي قائم واقعي و ممكن و غير متحقق في ذات الوقت ، واقعيته تتمثل بكونه حصيلة فعل تضافرت لإنجازه عوامل كثيرة تاريخية و اجتماعية متداخلة " (الجبوري، 2012، صفحة 113) لذلك كان طموح ماركيز معالجة الوعي المنحرف بالعودة إلى الثقافة الرفيعة و التي لم يجزم فيها بالنتائج الحتمية لأنه كان يدرك جيدا بأن النقد الجارف الذي انتهجه يتوقع كل النتائج مع سلطة سياسية رغبتها تتماشى مع الواقع القائم، و ليس مع الثقافة الرفيعة التي تأخذ في الحفر بكل الاتجاهات و تقف في وجه التكنولوجيا و هي لغة العلم و اليومي للإنسان المعاصر الذي لا اختيار له أمام اليومي و لا أسلبة أو تصعيد إلا بالعقل الذي يحلم بالمتعالي والقيم الرفيعة : " يحلم بأوضاع ليس لها وجود واقعي سوى وجودها الشعوري في ذات الأفراد حاملي هذا الوعي " لأن الواقع القائم صادم لإتيقا الثقافة الرفيعة . و مادام تفكيره الثوري ناعم في المواجهة وصفت نظريته بالرفض الكبير و كأنه يكتشف كوجيتو على مقاس الأسلبة مفاده " أنا أرفض إذا أنا موجود " وجود ممتد للواقع بكل مافيه من تناقضات لعل هذا الرفض سيفرز يوما ما إتيقا واقع الإنسان القادم.

4 . خاتمة:

بنظريته النقدية القائمة على الأسلبة و التصعيد دافع هاربرت ماركيز عن الثقافة الرفيعة والتي كان يرى فيها البديل الذي يقاوم الوعي المزيف وكل ثقافة تمجد التقنية وتهدد إنسانية الإنسان، لقد حاول أن يشعل نارَ ثورةٍ مختلفةٍ سلاحها الفكر النقدي الفلسفي يقترب من الفعل البراكسيسي للحياة والناس لكنه أخفق بهذا المتعالي الذي كان صادما لثقافة اليومي الاستهلاكية؛ لأنه ظلّ على الدوام فيلسوفاً يطمح للأجمل بثقافة إتيقية تخفف من انكسارات الواقع القائم، فلم تكن المتناقضات التي تحملها فكرته الإتيقية لمجتمعه الجديد أقلّ عنفاً للمجتمع الراهن الذي تكيف مع صدماته التقنية ، ومجتمعه الرأسمالي والمادي التقاني عموما

فيلسوف لم يكن يخطط لشهرة عالمية أو جوائز تكريمية، لكنه بسلاسة تفكيره الثوري و بساطة نقده الذي طالب فيه بالمراجعة الفاعلة قرب الفلسفة للمشكلات وفتح زاوية للثقافة الرفيعة رغم الواقع الطارد لكل تفكير نقدي جاد، واقع رسخ فكرة الأداتية، أفكار أعيد بعثها بعد ثلث قرن من طرحها كدليل ممارساتي لمن يريد التغيير، إتيقا ماركيزية حالمة لكنها تبقى مرجعية في كل لحظة يكون فيها ضغط الواقع القائم ميثاق جاثم على الفكر الحر مهما اختلفت الإيديولوجيا ومنظومة الأفكار السائدة، نقد تصاعدي أسس لعقلانية جديدة نابعة من النفي الهيجلي والنقد الكانطي والديزاین الهيدجري حيث كشف معنى الوجود، وجود الإنسان الذي لا يشبه الأشياء، لأن قانونه غير ثابت على حال والإنسان مشروع ذاته باستمرار مادام التحرر حقيقة تعمل على مواجهة كل تفكير ارتكاسي يتراجع أمام عنف سلطة الواقع القائمة لإتيقا الثقافة الرفيعة.

مصادر ومراجع البحث:

المصادر والمراجع باللغة العربية:

كتب:

- 1 _ سامي بلقاسم غابري. (2017). تأليف تفكيك الميتافيزيقا وبناء الإتيقا في فلسفة جاك دريدا (صفحة 206). الأردن : دار الخليج للصحافة و النشر.
- 2 _ ستيفن اريك برونر. (2016). تأليف النظرية النقدية (صفحة 30). مصر: مؤسسة هنداوي.
- 3 _ شفيق إبراهيم الجبوري. (2012). تأليف علم اجتماع المعرفة عند ابن خلدون (صفحة 113). الأردن: غيداء للنشر و التوزيع.
- 4 _ كمال بومنير. (2010). تأليف النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (صفحة 60). الجزائر : منشورات الاختلاف.
- 5 _ محمد جديدي. (2020). ما البيوإتيقا. الجزائر: منشورات الوطن اليوم.
- 6 _ محمد نورالدين أفاية. (1998). تأليف الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (صفحة 18). لبنان: أفريقيا الشرق.

- 7 _ هاربرت ماركيز. (1988). تأليف جورج طرابيشي، الإنسان ذو البعد الواحد (صفحة ، 84 ، 91، 110، 11). لبنان: دار الآداب.
- 8 _ هاربرت ماركيز. (2012). تأليف تر : مجاهد عبدالمنعم مجاهد، فلسفات النفي (صفحة 114). مصر: مكتبة دار الكلمة.
- 9 _ هاربرت ماركيز، و فؤاد زكريا . (1970). تأليف العقل و الثورة (الصفحات 48 - 49). مصر : الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر.
- 10 _ هوركايمر، م.، & مصطفى الناي. Dans (1990). النظرية التقليدية و النظرية النقدية (p. 20). بيروت : عيون المقالات.
- 11 _ يورغن هابرماس. (2003). تأليف العلم و التقنية كأديولوجيا (صفحة 85). ألمانيا: منشورات الجمل.
- 12 _ يونس الفاروق زكي، و علي سيد الصاوي . (1997). تأليف نظرية الثقافة (صفحة 54). الكويت: نظرية الثقافة.

مواقع :

- 1 _ حمد عطار. (1 أكتوبر، 2012). مفهوم النقد ومهمة الفلسفة، هاربرت ماركيز مسائلا: «كانط» «هيجل» «ماركس». نزوى.
- 2 _ أحمد علواني. (30 12، 2013). الصراع بين الثقافة الرفيعة وثقافة الاستهلاك. تم الاسترداد من الحوار المتمدن.
- 3 _ بول روبنسون، و عبده الرئيس. (2005). اليسار الفرويدي. المجلس الاعلى للثقافة، 139.
- 4 - حسن مدن. (1994). الثقافة الاستهلاكية في مجتمعات الخليج . صفحة 156.
- 5 _ خضير شعبان. (2001). مصطلحات في الإعلام و الاتصال . صفحة 69

معاجم :

- 1 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 1 ، 1982 ، لبنان.

باللغة الأجنبية :

- lavet, J.-C. (1986). Dans Le concept de liberté chez Herbert Marcuse (p. 209). Québec: Société de philosophie du Québec.